

52

قصاص

الأنبياء

علي

عليه السلام (3)

الرسالة



هذا كتاب من كتب مؤسسة الرسالة

التي تهتم بنشر الكتب النافعة

والتي تخدم المجتمع الإسلامي



بَلَغَ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الثَّلَاثِينَ مِنْ عُمُرِهِ ،
 فَانْتَهَتْ بِذَلِكَ مَرَحَلَةٌ مُهِمَّةٌ مِنْ حَيَاتِهِ ، هِيَ مَرَحَلَةُ
 التَّأَمُّلِ فِي خَلْقِ اللَّهِ وَبَدِيعِ صُنْعِهِ ، فِي مَلَكُوتِ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَتَعَلَّمَ الْحِكْمَةَ وَالشُّرَاةَ ، الَّتِي
 أَنْزَلَتْ مِنْ قَبْلُ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهِيَ

الْمَرْحَلَةُ الَّتِي أَعَدَّهُ اللَّهُ (تعالى) فِيهَا لِحْمَلِ

الرَّسَالَةِ ، وَتَبْلِيغِ الدَّعْوَةِ ..

وَبَدَأَتْ مَرْحَلَةُ جَدِيدَةٍ فِي حَيَاةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هِيَ
مَرْحَلَةُ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ ، وَهُدَايَةِ النَّاسِ إِلَى طَرِيقِهِ
الْمُسْتَقِيمِ وَتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ ..

كَانَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى هَذِهِ السَّنَ مُلَازِمًا لِأُمِّهِ مَرْيَمَ
- رَضَوَانُ اللَّهِ عَلَيْهَا - يَرْعَاهَا وَيَخْدُمُهَا بِنَفْسِهِ ،
وَكَانَ ابْنًا بَارًّا بِوَالِدَتِهِ ، وَكَانَ يَكْثُرُ مِنَ الصَّلَاةِ
وَالصِّيَامِ وَذِكْرِ اللَّهِ (تعالى) ، وَالْعَطْفِ عَلَى الضَّعْفَاءِ
وَالْمَسَاكِينِ ..

وَذَاتَ يَوْمٍ كَانَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ صَائِمًا ، وَصَعِدَ مَعَ أُمِّهِ
إِلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ ، لِيُخَضِّرَ زَيْتُونًا ..
وَعَلَى الْجَبَلِ أَذْرَكَتُهُ صَلَاةُ الظُّهْرِ ، فَوَقَّفَ يَصَلِّي فِي
خُشُوعٍ وَقَبَلُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ..

وَبَيْنَمَا هُوَ مُسْتَغْرِقٌ فِي صَلَاتِهِ ، ظَهَرَ نُورٌ سَمَاوِيٌّ
مِنْهُرٌ بَرَّاقٌ ، فَمَلَأَ الْجَبَلَ ، وَأَحَاطَ بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ..

وَمِنْ بَيْنَ النُّورِ ظَهَرَ الْمَلَكُ جِبْرِيلُ ﷺ فِي
مَرْكَبٍ لَا يُحْصَى مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، وَهُمْ يُسَبِّحُونَ
اللَّهَ (تَعَالَى) ، وَيَقْدُسُونَ اسْمَهُ ..

وَأَخْبَرَهُ الْمَلَكُ جِبْرِيلُ ﷺ أَنَّ اللَّهَ (تَعَالَى) قَدْ
أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْإِنْجِيلَ ، وَاخْتَارَهُ لِيَكُونَ رَسُولًا يُبَلِّغُ
رِسَالَتَهُ إِلَى قَوْمِهِ مِنَ الْيَهُودِ ، الَّذِينَ حَرَّفُوا التَّوْرَةَ ،
فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ..

وَقَدَّمَ لَهُ جِبْرِيلُ ﷺ تَعَالِيمَ الْإِنْجِيلِ مَكْتُوبَةً فِي
كِتَابٍ كَأَنَّهُ مِرْآةٌ بَرَّاقَةٌ مِنْ نُورٍ ..

وَلَمَّا فَجَلَّتْ رُؤْيَا الْمَلَكِ جِبْرِيلَ ﷺ لِنَبِيِّ اللَّهِ
عِيسَى ﷺ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ،
تَوَجَّهَ إِلَى أُمِّهِ مَرْيَمَ ، وَأَخْبَرَهَا بِذَلِكَ ..

وَكَانَ عِيسَى ﷺ يَعْلَمُ طَبِيعَةَ الْيَهُودِ الْخَبِيثَةِ ،
وَنُفُوسَهُمُ الدَّنِيئَةَ ، وَيَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ حَيَاتِهِمْ مَبْنِيَّةٌ عَلَى
قِيَمٍ مَادِّيَّةٍ ، وَأَنَّهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَحْدَهُ ، وَإِنَّمَا
يَعْبُدُونَ الْمَالَ ، وَلَا يَقْدُسُونَ شَيْئًا مِثْلَ تَقْدِيسِهِمْ

للذهب ، ولذلك فهو يعلم أن دعوته لهم لن تكون
سهلة ، وأنه سيلاقي منهم مثلما لاقى الأنبياء الذين
سبقوه ، ولذلك قال لأمه : إنه سيعرّثُ علي دعوته أن
يحتمل الكثير من غدر اليهود ، واضطهادهم وكيدهم
له ، وحرّبتهم لكل من يؤمن بدعوته ..
فقالت له أمه : إن الله (تعالى) قد نبأها بكل ذلك
من قبل أن يولد عيسى ، ودعت له بالخير ، حتى
يتمكن من نشر دين الله ، ودعوة الناس إلى عبادته
وحده ، دون سواه ..

ومنذ ذلك اليوم ودّع عيسى ﷺ أمه مريم ،
وانطلق ليدعو إلى دين الله ، ويحرّر الناس من
عبودية المال والذهب ، ويخلص الروح مما علق بها
من أدران المادة ، حتى تسمو وترتفع إلى عبادة
خالقها دون سواه ..

انطلق عيسى ﷺ يدعو إلى دين الله في قرى
ونجوع فلسطين ..

لَمْ يَكُنْ لَهُ بَيْتٌ يُؤْوِيهِ ، وَلَا مَكَانٌ يَنَامُ فِيهِ ،
فَكَانَ يَنَامُ فِي الْخَلَاءِ ، حَيْثُ حَلَّ بِهِ اللَّيْلُ ، وَكَانَ
فِرَاشُهُ الْأَرْضُ ، وَغَطَاؤُهُ السَّمَاءُ ..
وَكَانَ طَعَامُهُ الْخُبْزَ وَالْمَاءَ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَطْمَعٌ مِنَ
الدُّنْيَا سِوَى تَبْلِيغِ رِسَالَةِ السَّمَاءِ ، وَهِدَايَةِ الْحَيَارَى
وَالضَّالِّينَ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ ..

وَلِذَلِكَ كَانَ عِيسَى - ﷺ أَكْثَرَ النَّاسِ تَوَاضَعًا لِلَّهِ ،
وَأَكْثَرَهُمْ رَحْمَةً رَحْبًا لِمَخْلُوقَاتِ اللَّهِ ..
وَلَاقَى نَبِيَّ اللَّهِ عِيسَى - ﷺ مِنْ مَكْرِ الْيَهُودِ
وَكَيْدِهِمْ وَخِدَاعِهِمْ أَكْثَرَ مِمَّا لَاقَى مِنْ سَبْقِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ
وَالْمُرْسَلِينَ ..

كَمَا لَاقَى مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ وَمَكْرِهِ وَخِدَاعِهِ الْكَثِيرِ
وَالْكَثِيرِ .. وَمِمَّا لَاقَاهُ عِيسَى - ﷺ مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ ،
أَنَّهُ ﷺ كَانَ صَائِمًا لِلَّهِ مِنْذُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَكَانَ يَهِيمُ
عَلَى وَجْهِهِ فِي الْبَرِّيَّةِ دَاعِيَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ
الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ، وَأَحْسُ بِالْجُوعِ الشَّدِيدِ ، فَجَاءَهُ

الشَّيْطَانُ اللَّعِينُ وَقَالَ لَهُ فِي ذَهَاءَ :
- إِنْ كُنْتُ رُوحَ اللَّهِ وَنَبِيَّهُ حَقًّا ، فَأَمْرُ هَذِهِ الْحِجَارَةِ ،
حَتَّى تُصِيرَ لَكَ خَبْرًا ..

وَأَحْسَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِكَيْدِ الشَّيْطَانِ فَقَالَ لَهُ :
- مَكْتُوبٌ لَيْسَ بِالْخُبْرِ وَحْدَهُ يَحْيَا الْإِنْسَانُ ،
بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ ، تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللَّهِ ..
فَأَخَذَهُ الشَّيْطَانُ اللَّعِينُ ، حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَى
جَنَاحِ الْهَيْكَلِ ، وَقَالَ لَهُ :

- إِنْ كُنْتُ رُوحَ اللَّهِ ، فَأَلْقِ بِنَفْسِكَ
إِلَى أَسْفَلِ ، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ أَنَّ اللَّهَ
يُوصِي مَلَائِكَتَهُ بِكَ ، فَيَحْمِلُونَكَ عَلَى أَيْدِيهِمْ
حَتَّى لَا تَصْطَدِمَ بِحَجَرٍ وَتَمُوتَ ..



وَتَبَّهَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مَكِيدَةِ إِبْلِيسَ اللَّعِينِ ،

فَقَالَ لَهُ :

- مَكْتُوبٌ أَيْضًا : لَا تَجْرُبُ الرَّبَّ إِلَهَكَ ..

فَأَخَذَهُ إِبْلِيسُ اللَّعِينُ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ ، وَأَرَاهُ مَمَالِكَ
الْأَرْضِ وَمَجْدَهَا ، وَقَالَ لَهُ :

- أُعْطِيكَ كُلَّ هَذِهِ الْمَمَالِكِ ، إِنْ خَرَرْتَ عَلَيَّ

الْأَرْضَ ، وَسَجَدْتَ لِي ..

فَنَهَرَهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِلًا :

- اذْهَبْ عَنِّي أَيُّهَا الشَّيْطَانُ اللَّعِينُ ، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ :

لِلرَّبِّ إِلَهِكَ وَحْدَهُ تَسْجُدُ ، وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ ..

وَهَكَذَا انْصَرَفَ عَنْهُ الشَّيْطَانُ اللَّعِينُ ..

وَأَخَذَ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدْعُو الْيَهُودَ إِلَى اتِّبَاعِ

طَرِيقِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَتَنْقِيَةِ نُصُوصِ التَّوْرَةِ مِنْ

التَّحْرِيفِ الَّذِي أَلْحَقُوهُ بِهَا ، حَتَّى يَعُودُوا إِلَى شَرِيعَةِ

اللَّهِ الْحَقَّةِ ..

وَكَانَ مِنْ شَرِيعَةِ الْيَهُودِ أَنَّ يَوْمَ السَّبْتِ يَوْمُ عُظْمَةٍ

لَهُمْ يَمْتَنِعُونَ فِيهِ عَنِ الْأَعْمَالِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، وَلَكِنْ
الْيَهُودَ اسْتَغْلَوْا ذَلِكَ فِي الْاِمْتِنَاعِ عَنِ الطَّاعَاتِ وَفِعْلِ
الْخَيْرَاتِ ..

وَأَرَادَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَعْلَمَهُمْ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِذَلِكَ هُوَ
الْاِمْتِنَاعُ عَنِ الْأَعْمَالِ الدُّنْيَوِيَّةِ فَقَطْ ، أَمَّا التَّقَرُّبُ إِلَى
اللَّهِ (تَعَالَى) بِالطَّاعَاتِ وَفِعْلِ الْخَيْرَاتِ ، فَهُوَ
مَطْلُوبٌ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ ..

دَخَلَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ تَلَامِيذِهِ إِلَى بُسْتَانٍ فِي يَوْمِ
السَّبْتِ ، وَرَاحَ التَّلَامِيذُ يَقْطِفُونَ الثَّمَارَ وَيَأْكُلُونَ ،
فَلَمَّا رَأَاهُم الْيَهُودُ اعْتَرَضُوا وَقَالُوا :



— انظروا إلى المسيح وتلاميذه ، إنهم يفعلون

ما لا يحل في يوم السبت ..

فرد عليهم عيسى عليه السلام قائلا :

— ألم تقرأوا ما فعله داود عليه السلام حين جاع هو والذين

معه ؟

فقالوا له :

— وماذا فعله داود ؟

فقال عيسى عليه السلام :

— لقد دخل بيت الله ، وأكل خبز الصدقة ، الذي

لا يحل له ولا للذين معه أكله ..

ثم انصرف عيسى عليه السلام من هناك ، وتوجه إلى

كهنة اليهود في معبدهم ، فرأى إنسانا مريضا ،

ويده متخشبة لا يستطيع تحريكها ، وكهنة اليهود

يرفضون علاج ذلك الرجل المريض ، بحجة أن اليوم

سبت ، ولا يحل العمل فيه فقال عيسى عليه السلام

للرجل :

- مذي يدك كي أعالجك ..

فاعتصر كهنه اليهود قائلين ..

- هل يحلُّ العلاجُ والشفاءُ في يوم السبت ؟

فقال عيسى عليه السلام موضحاً :

- لو فرض أن إنساناً منكم له خروفٌ ، وسقط هذا

الخروفُ في حفرة يوم السبت ، ألا يتقدم إليه

وينقذه ، أم يتركه ليهلك في الحفرة ؟

فتعجب الكهنة وقالوا له :

- بل ينقذه .

فقال لهم عيسى عليه السلام :

- الإنسان أفضل وأعزُّ عند الله من الخروف وأكرم ،

ألا يحلُّ لنا أن نُنقذه من الموت في يوم السبت ..

وبعُثِدَ أن لمس عيسى عليه السلام يد المريض تحرَّكت

وشفى المريض بإذن الله تعالى ..

واستمر نبيُّ الله عيسى عليه السلام يكشفُ أباطيل

وخرائنكم من هذه الأموال التي لا يحل
لكم أخذها بالباطل ..

ما أشقاكم لأنكم تكلفون الناس أحمالاً فوق طاقتهم
وتأمرون الناس بما لا تفعلون ..

واصطدم عيسى عليه السلام بالكثير والكثير من مثل هذه
الأمور ، التي ابتدعها كهنة اليهود ، ليعسروا
على البسطاء أمور دينهم ، والتي ما أنزلها
الله (تعالى) في التوراة ، ولا على لسان أحد من
أنبيائه ، ولذلك شن عيسى عليه السلام حرباً لا هوادة فيها
على هؤلاء المحرفين الضالين المضلين ،

وَأَيَّدَهُ اللَّهُ (تعالى) بِالرُّوحِ الْأَمِينِ

جبريل عليه السلام يَنْصُرُهُ وَيُدَافِعُ عَنْهُ ، وَيَحْمِيهِ مِنْ بَطْشِ
الْيَهُودِ وَفَكَرَهُمْ وَذَهَابِهِمْ ..

كَانَ عِيسَى عليه السلام يَدْعُو النَّاسَ إِلَى تَوْحِيدِ
اللَّهِ (تعالى) وَاخْتِصَاصِهِ وَحْدَهُ بِالْعِبَادَةِ ، وَالْإِخْلَاصِ
فِي طَاعَتِهِ ، وَالْعَمَلِ بِأَوَامِرِهِ ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ ،
وَحُسْنِ الْمَعَامَلَةِ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَأَخِيهِ الْإِنْسَانِ ،
وَالْتَوَاضُعِ وَالْبَعْدِ عَنِ الظُّلْمِ وَالْكِبْرِيَاءِ ، وَالْحُبِّ
وَالْتَّسَامُحِ ..

وَأَرَادَ عِيسَى عليه السلام أَنْ يُعَلِّمَ النَّاسَ التَّوَاضُّعَ وَالْحُبَّ
وَالْتَّسَامُحَ ، لِأَنَّ مَنْ يَحِبُّ غَيْرَهُ يَصْبِحُ قَادِرًا عَلَى
الْعَطَاءِ وَالْبَذْلِ مِنْ أَجْلِ الْآخَرِينَ ..

كَانَتْ شَرِيعَةُ مُوسَى عليه السلام تُنَادِي بِالْقِصَاصِ ،
وَلَكِنْ الْقِصَاصِ الْعَادِلِ .. فَمَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ
الْأَيْمَنِ ، فَاضْرِبْهُ عَلَى خَدِّهِ الْأَيْمَنِ .. وَلَكِنْ
بَنِي إِسْرَائِيلَ - الَّذِينَ حَرَّفُوا التَّوْرَةَ وَغَيَّرُوهَا -

كانوا يُبالِغونَ في القصاصِ ، إذا كان الشخصُ
الذي يقتصرونَ منه ضعيفاً ، والشخصُ المُقتَصَّ قوياً
وذا نفوذٍ ..

فإذا لطمَ شخصٌ ضعيفٌ شخصاً قادراً
على خدّه الأيمنَ ، فإنَّ هذا الأخيرَ لا يكتفى
بضربه على خدّه الأيمنَ ، وخدّه الأيسرَ ،
وإنما يقومُ بهدمَ بيته وتشريدِ أسرته ..
والعكسُ صحيحٌ ..



وأراد عيسى عليه السلام أن يغير ذلك كله بالحب
 والتسامح ، ولذلك أوصى أتباعه قائلاً :
 - من ضربك على خدك الأيمن ، فأدر له خدك
 الأيسر ..
 وبهذا الحب والتواضع والتسامح مضى نبي الله
 عيسى عليه السلام ينشر دعوته ورسالته .. ونصره الله ..
 (يتبع)

الكتاب التالي

عيسى عليه السلام

(4) المعجزات

المرحون علي السادة